توظيف الإبداع في الفعاليات الاقتصادية : مطلب شرعي

Using Creativity in the Economic Activities: An Islamic Prerequisite

أ.م.د.قيصر عبد الكريم الهيتي

جامعة الأنبار ــ كلية الإدارة والاقتصاد / معاون العميد للشؤون الإدارية

المستخلص :

إن واقع الإبداع في مجتمع الأمة الإسلامية يعاني من حالة الضعف في الوقت الحاضر لا سيما في الجانب الاقتصادي. لذلك ارتأيت أن أكتب في أهمية توظيف الإبداع في الأنشطة الاقتصادية والتي دعا إليهـــا الإســـلام كجزء من منظومته العمرانية فكانت مطلباً شرعياً تحتاج إليه الأجيال الحاضرة والقادمة.

ولذا فإننا حين نقرأ عن أبي الأسود الدؤلي الذي بدأ بوضع قواعد النحو, والخليل بن أحمد الفراهيدي الـــذي استنبط بحور الشعر العربي, والإمام الشافعي الذي وضع أوّل كتاب في أصول الفقه, وابن خلدون الذي أرســـى قواعد علم الاجتماع, وابن الهيثم ونظرياته في علم الضوء, وابن النفيس في اكتشافه للدورة الدموية الصغرى ... فإننا نتحدث عن أنماط فريدة أبدعت في مجالات العلوم المختلفة عبر التاريخ الذي شهدته الأمّة.

ولعلّ اجتهادنا في صياغة مفهوم توظيف الإبداع في المنظور الاقتـــصادي الإســـلامي (تمكـــين القـــدرات والمهارات الذهنية التي تعمل بمجموعها للوصول إلى كل ما هو جديد ونافع في شتّى مجالات الحياة سيما فيما يتعلق بعجلة الحياة الاقتصادية والخدمية والإدارية وذلك بما ينسجم مع معطيات الشريعة الإسلامية وتعاليمهـــا) يُعد خطوةً إيجابيةً نحو فهم وإدراك بعض المفاهيم ذات الصلة في بناء المجتمع وتطوّره، وأحد أهم أسباب نجاح خطواته التي يُقدّمها بالاتجاه الصحيح الذي يحتاج دائماً إلى التغيير والإبداع المستمر.

Abstract:

Man across history has noticed a remarkable developments on the knowledge, economical, social and religious fields. This may be due to the recent thoughts of an experts and their virtue in a ascertaining the real benefit for human beings. From those are: Abn Al-Aswad Aldouli; who started writing the rules of grammar, Alkhaleed Bin Ahmed Al-Farahidi, who discovered the Arabic sections of poetry, Emam Al-Shafie who wrote the first book in jurisprudence principles, Abn Khaldoon, who established the rules of sociology, Abn Al-Haitham and his theories in lights and Abn Al-Nafees who discovered Pulmonary Circulation…… etc. It is important to mention in this context that Islam has encouraged and interested in the idea of using creativity in different aspect of life. Among these is Economy.

The researcher has focused in forming the definition of creativity according to the Islamic economic perspective as: Applying the mental abilities and skills together in finding out the new and beneficial things in different aspects of life especially these related to economical and administrative aspects that meet and agree with the Islamic rules and system.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصـــحبه أجمعين، وبعد:

فقد شهد الإنسان عبر التاريخ تطوراً ثـــقافياً واقتصادياً واجتماعياً, ولن ينتهي حتى نهايته؛ وذلك بفعل البحث المستمر عن الفكرة الجديدة والسلعة المبتكرة التي تُقدّم المنفعة الحقيقية والإشباع المناسب كونها تتميّز بخصائص معاصرة يبحث عنها كل فرد منّا سواء كان منتجاً أم مستهلكاً أم مستثمراً. فعلى سبيل المثـــال إذا كـــان وجـــود المبدعين أمراً ضرورياً فإنّنا حين نقرأ عن أبي الأسود الدؤلي الذي بدأ بوضع قواعد النحو والخليل بن أحمـــد الفراهيدي الذي استنبط بحور الشعر العربي والإمام الشافعي الذي وضع أوّل كتاب في أصول الفقه وابن خلدون الذي أرسى قواعد علم الاجتماع وابن الهيثم ونظريّاته في علم الضوء وابن النفيس في اكتشافه للدورة الدمويـــة الصغرى ...

وحين نقرأ عن نيوتن وغاوس وآينشتاين الذين أبدعوا في الرياضيات والفيزياء فإنّنا نتحدّث عن أنماط فريدة، لم يكن إنتاجها مجرّد تكرار أو تجميع. بل هو إبداع للعلماء كل في مجال عمله واهتمامه.

وهكذا يكون الإبداع في أي مجال من مجالات اللغة والأدب والإدارة والسياسة والفيزياء والطـــب والاقتـــصاد والاجتماع .. إلخ.

ولهذا نجد الأسواق في جميع الأمم وفي كل العصور تتسابق نحو إنتاج أجود السلع وأفضل الخدمات من جهة والترويج لها من جهة أخرى, حتى دخل العالم في ميدان التطوّر السريع, فأصبحت المنتجات الرائدة والمتميـــزة مناط اهتمام الشركات والمؤسسات الإنتاجية, وباتت تتسابق للحصول على الجديد من الأفكـــار لتـــدخل ميـــدان التصنيع والتوزيع في الأسواق.

ولذلك نجد أن الإسلام دعا في أول كلمة نزل بها القرآن الكريم وهي قوله عزّ وجل (اقرأ) إلى البحث عـــن الفكرة الجديدة عن طريق القراءة، بل وأكّد على أهمية السعي والعمل وفق أفضل الطرق والأساليب لقوله (ﷻ) في هذا الجانب : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة: الآية 105) ، وقـــال (ﷻ) أيضاً في هذا السياق: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (سورة الملك: الآية 2). ولهذا جاء الإسلام داعيـــاً إلـــى الإبداع (Innovation) والابتكار والاكتشاف والبحث عن كل ما هو جديد ومعاصر ليُسخّره في كافة الجوانـــب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية, كيف لا وقد جاء في محكم التنزيل قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ الـــسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنعـــام: الآيـــة 101), وليُوظّف هذا الإبداع الذي شمل الخلق ومنظومته الكونية في خدمة الإنسان حتى يتمكّن من تحقيق معاشه وتحسين بيئته والوصول إلى مرحلة الغاية من خلقه؛ وهي العبادة لله (ﷻ) في جميع سلوكياته.

وبما إن ثـــقافة الإبداع والاختراع والابتكار تسير في خط واحد تستنهض الجانب العلمي والحـــضاري فـــي مختلف ميادين الحياة, فإنها تُعدّ ميداناً واسعاً ومؤثّراً. لا سيما إذا كان قد اقترن بالمنافسة المستمرة الهادفة بـــين مختلف الدول.

وهنا نجد أن من الضروري أن نشير إلى أن توظيف الإبداع في مؤسسات المجتمع الإســـلامي لا يمكـــن أن يُحقّق ثماره وينهض بالواقع السلمي والخدمي إلا إذا سلك طريقه وفق الضوابط الشرعية المستمدة من القـــرآن

الكريم والسنة النبوية، وذلك لكونهما أعطيا لمفهوم الإبداع اهتماماً واضحاً ينطلق من شريعة بـــديع الـــسموات والأرض الذي خط للإنسان طريقاً واضحاً ومنهجاً مستقيماً يقوده إلى التنمية بكل أشكالها ويرتقي بإمكانياته إلى كل فرص النجاح والرفاهية في الحياة.

مشكلة البحث:

تواجه دول العالم العربي والإسلامي من حيث العموم مشكلة التخلف في مواكبة التطور الذي وصل إليه العالم على صعيد التطوّر التقني والتكنولوجي الذي كان للإبداع فيه النصيب الأكبر والسبب الأشمل حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم من إمكانيات أذهلت العقول ولذلك صار من الضروري أن نُشير إلى أن الإسلام مـــع الإبـــداع والتجديد الهادف والفكرة النافعة وقد فتح ميدان التنافس في ذلك.

فرضية البحث:

تقوم فرضية البحث على أهمية توظيف الإبداع في جميع الفعاليات الاقتصادية بما يُحقّق النمو والرفاهية التي يسعى لها جميع المستثمرين والمنتجين والمستهلكين. وهذا الأمر يُعدّ مطلباً شرعياً دعا إليه الإسلام في نصوصه وتشريعاته كافّة. والشكل الآتي يُوضّح مضمون هذه الفرضية:

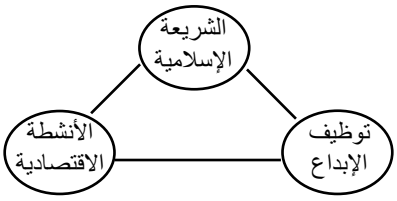

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث بتسليطه الضوء على فاعلية الأنشطة الاقتصادية عندما تكون متداخلة مـــع المتغيـــرات الإبداعية والاختراعات التقنية التي تستحدث بين الحين الآخر, وهذا يُمثّل أحد أهم أهداف الـــشريعة الإســـلامية, لقوله (ﷻ) في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (سورة الكهف: الآية 3).

وبذلك نتمكّن من الإجابة عن التساؤل الذي طرحه الكثيرون من أهل الاقتصاد وهو: كيف ينظر الإسلام إلى الإبداع الاقتصادي؟

والسؤال الآخر هو: هل الإبداع مصدر اقتصادي ومالي؟ لذلك ينبغي أن نهتم بالجانب الإبداعي في الإســـلام ونُقويه ونتصدّى لكل من يُضعفه فكرياً أو مادياً، فعلى سبيل المثال: فإن الملكية الفكرية ضمانة أكيدة للاقتـــصاد الإبداعي.

في حقيقة الأمر إن هذا من شأنه أن يوجد حالة من التسابق لقوله (ﷻ): ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ (سورة البقرة: الآية 148)، فما بالك بالتسابق في ميدان التسويق الإبتكاري والإنتاج الجديد الذي يتّصف بالإبـــداع حيـــث يـــتم إدخال أكثر من منفعة وأكثر من فكرة على ذات السلعة وهذا من شأنه أن يخدم مصلحة المنتجين والمـــستهلكين من حيث العموم. وباختصار فالذي ينظر إلى تاريخ الإنسان يجده قد أثبت نجاحه في البقاء والتطوّر من خـــلال إيجاد طرق ووسائل متجدّدة تعمل على إشباع رغباته وحل مشاكله, ويعود الفضل في التطـــوّر المـــستمر إلـــى البحث ثم الاكتشاف والإبداع والابتكار الذي يُعد الدافع الأوّل في اختيار الموضوع.

هيكلية البحث :

تضمن البحث ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: مفهوم الإبداع وموقف الشريعة الإسلامية منه.

أمّا المبحث الثاني: أنواع الإبداع وعلاقة توظيفه بالفعاليات الاقتصادية.

أمّا المبحث الثالث: قواعد الاقتصاد الإسلامي في توظيف الإبداع.

وهذه المباحث سبقتها هذه المقدمة الموجزة, ثم أنهيت البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات احتوتها الخاتمة وأسأله (ﷻ) أن أكون قد وفّقت للصواب. إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

مفهوم الإبداع وموقف الشريعة الإسلامية منه

المطلب الأوّل: مفهوم الإبداع وأبرز المصطلحات المتعلقة به:

ـ **مفهوم الإبداع لغةً** (لسان العرب, ابن منظور جمال الدين الأنصاري, 1413هـ , 604 والمعجم الوسيط, مجموعة من المؤلفين, 1414, 421): " إنَّ مفردة الإبداع بالأصل مأخوذة من الفعل الثلاثي (بَدَعَ)، وبدع الشيء مبتدعه, وابتدعه أي: أنشأه وبدأه واخترعه واستنبطه. والبدع في الشيء أي الذي يكون أو لا يكون، ويقال بدع بدعاً أي: أنشأه من دون مثال سابق، والإبداع عند الفلاسفة يراد به: إيجاد الشيء من العدم، والبدع في الأمر: أي الشيء الذي يحدث من غير مثال سابق" .

لذا فالإبداع في اللغة يراد به: إيجاد فكرة أو رأي جديد لم يسبق أحداً في إيجاده سواء كانت تلك الفكرة اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية.

ـ **أما في الاصطلاح:** فلقد تناوله العديد من الباحثين بأوجه عديدة, ومنهم من ربطه بالجانب الاقتصادي, ومنهم من ربطه بالجانب الشرعي, وعلى النحو الآتي:

ما يراه علماء الإدارة والاقتصاد:

عرّفه تورانس (Torrance 1993) بأنه: " عملية تحسّس للمشكلات والوعي بمواطن الضعف والثغرات وعدم الانسجام والنقص في المعلومات والبحث عن حلول والتنبؤ وصياغة فرضيات جديدة واختبار الفرضيات وإعادة صياغتها أو تعديلها من أجل التوصّل إلى حلول أو ارتباطات جديدة باستخدام المعطيات المتوافرة، ونقل وتوصيل النتائج للآخرين " (الإبداع, فتحي جروان, 1420هـ, 6)، فتورانس يجد أن الإبداع عملية تحسّس للمشكلات وصياغة الحلول المناسبة. أي إنه يربطه بالتجربة العملية.

وعرّفه سيمسون: أنه " المبادرة التي يبذلها الشخص بقدرته على الانشقاق عن التسلسل العادي في التفكير, ونضيف على أنه لا يتعدى الضوابط الشرعية فيؤدي إلى الانقلاب أو يكون في ذلك كسر لمصالح بني الإنسان " (الإبداع, فتحي جروان, 1420هـ, 5)، فالملاحظ أنه ربطه بالقوانين التي من شأنها تحقيق مصالح المجتمع.

وعرّفه الدكتور فضل الله الفضلي بأنه: " تلك العملية التي يمكن من خلالها خلق و قبول وتطبيق أفكار جديدة تساهم في إحداث نقلة نوعية على مستوى المنظمة " (العوامل المؤثرة على دور المدير كوكيل إبداع, مجلة جامعة الملك سعود الإدارية, 1423هـ, 345), حيث ربط الدكتور فضل الله الإبداع بالنتائج التي تساهم في تطوير المنظمة بشكل جذري وملموس.

ويتفق الدكتور علي فلاح الزغبي وآخرون مع الدكتور فضل الله الفضلي بأن الإبداع هو: " الإتيان بفكـــرة جديدة أو مجموعة أفكار جديدة غير مألوفة عند الغير تشكل تحسيناً وتطويراً على النمط الموجود" (دور وأهمية الإبداع المحاسبي في تحقيق الميزة التنافسية الاقتصادية في مؤسسات المال الأردنية, د. علي فلاح الزغبي وماجد عبد العزيز الجر يري, 1427هـــ, 4). وممّا لاشك فيه أن مفهوم الإبداع له أهمية تنبع من حاجة المجتمع والحياة بأفرادها ومنظماتها للإبداع, حتى إن المنظمات التي لا تبدع تهرم وتزول (الإبداع مـــن أجـــل التطوير الإداري في الأجهزة الحكومية بمدينة الرياض, (Daifallah Al-Nofaie, 3-37), لذلك فإن التعرف على مفهوم الإبداع أمر ضروري من أجل تطوير واقع النشاط الاقتصادي في المجتمعات الإســـلامية وغيرهـــا والقدرة على إدارته بالشكل الصحيح.

مفهوم الإبداع عند علماء الشريعة:

الإبـــــداع: هو صفة من صفات الإنسانية التي يؤتها الله العلـــي القـــدير لمـــن يـــشاء مـــن بنـــي البـــشر. فقد جاء في محكم كتابه الكريم: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومـــن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (سورة البقرة: الآية 269). والحكمة هنا هي أعلى مراحل ومستويات المعرفـــة والتـــي تـــشكل القاعدة الأساسية للإبـــــداع، وإن لم تكـــــن لديه مستويات عالية من المعرفة, لا يمكن أن يكون مبـــدعـــــاً. والإبداع هو نتاج فكري أصيل ينشأ نتيجة لعمليات ذهنية وعقلية عدة كالعصف الذهني, والخيال العلمي. وهـــو في نفس الوقت استحداث الأفكار الجديدة الخارجة عن المألوف والجديدة على طبيعة النمط الفكـــري للآخـــرين. ويطرح الكثير من الكتّاب مفهوم الإبداع وعلاقته بالنشاط التجاري والتطبيقـــات العمليـــة المختلفـــة لمنظّمـــات الأعمال.

ويتم ربط ذلك بمفاهيم أخرى مرادفة مثل الابتكار والخلق, وتعنـــي جميعهـــا ولادة شـــيء غيـــر مـــألوف أو (النظر إلى الأشياء بطرق جديدة) وهذا الشيء الجديد هو حصيلة الجمع بين الفكرة النظرية وتكتيك الابتكـــار (الإبداع في اتخاذ القرارات الإدارية, د. مؤيد الحسين الفضل, 2009 م, 13). ولقد تنـــاول علمـــاء الـــشريعة مصطلح الإبداع حسب ما يرونه أنه مفهوم تتداخل فيه عدة جوانب منهـــا: العقائديـــة والفكريـــة والاجتماعيـــة والاقتصادية وغيرها. وهذا ما نجده عند أكثر المفسّرين, ومن أبرزهم الراغب الأصفهاني (502هـــ) (مفـــردات ألفاظ القرآن, الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني, 1409هـــ, 38-39),

حيث قال: " الإبداع هو إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ... والبديع يقال للمبدع نحـــو قولـــه (ﷻ): ﴿ بَـــدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة البقرة: الآية 117)، وقوله (ﷻ): ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِـــدْعًا مِّـــنْ الرُّسُـــلِ ﴾ (ســـورة الأحقاف: الآية 9)، قيل معناه مبدعاً أي لم يتقدمني رسول .... والبدعة في المذهب يراد بها: قول لـــم يـــستن قائله وفاعله بصاحب الشريعة ومسائلها المتقدمة وأصولها المتقنة " ، بينما يرى أبو البقاء الكفوي (رحمـــه الله) ببيان معنى الإبداع بقوله: " البدعة كل عمل عُمِل على غير مثال سابق فهو بدعة " (الكليات, أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي, 1410 هـــ, 226)

والذي يبدو لي أن الإبداع في المنظور الشرعي يراد به الإتيان بفكرة جديدة تتفق مـــع مقاصـــد الـــشريعة الإسلامية ولا تتعارض معها. ولعلّ من الواضح أن علماء الشريعة والاقتصاد يتفقون بأن الإبداع: هو الإتيـــان بفكرة أو رأي لم يسبق بأن أوجده أحد من قبل، لكن الاختلاف الأساسي بين المفهوم (الـــشرعي والاقتـــصادي)

كون هذه الفكرة من ضمن ما أقرّته الشريعة الإسلامية، فإن كان من ضمن ما أقرته الشريعة فهو مبـــاح كونـــه يؤدي إلى تطوير المجتمع في شتى فعاليته الحياتية والمعيشية, بينما عند علماء الاقتصاد لا يشترطون الـــضابط الشرعي. وممّا سبق ذكره .. **أجد من الضروري الإشارة إلى مفهوم الإبداع في منظور الاقتصاد الإسلامي.**

والذي أميل إليه أنه: تمكين القدرات والمهارات الذهنية التي تعمل بمجموعها للوصول إلى كل ما هو جديد ونافع في شتّى مجالات الحياة, سيما فيما يتعلق بعجلة الحياة الاقتصادية والخدمية والإدارية وذلك بما ينسجم مع معطيات الشريعة الإسلامية وتعاليمها. إذاً هو حالة عقلية (ذهنية) بشرية تتجه نحو إيجاد أفكار أو طرق أو وسائل غاية في المنفعة والجدية, تعمل على تحقيق المصالح الكلية واختصار الأساليب والأعداد والتكاليف وذلك في تحقيق مقاصد الشريعة وأهدافها في مجال العمل الاقتصادي باختلاف أشكاله.

المطلب الثاني: موقف الشريعة الإسلامية من الإبداع:

الإسلام منذ اليوم الأوّل لولادته, وفي بداية عصر الرسالة أطلق العنان لكل مبدع ومبتكر, وشد من همّـــته وعزيمته سعياً لمنفعة البشرية وقصداً للإيمان بالله عز وجل ونيل رضاه, وإيماناً من الفكر الاقتصادي الإسلامي بضرورة التغيير الإيجابي وأهمية ديمومته. فقد اهتمت الشريعة الإسلامية ببناء وتطوير المجتمعات كونها داعمة للتطور والتغيير ولاسيما في وقتنا الحاضر. إذ نجد أن العديد من المشاكل التي تُهدّد المجتمعات وتقـــف بوجـــه المنظّمات الاقتصادية تتطلب وضع حلول واضحة لها, وهذا ما جعل بعض المنظّمات العالمية تقف عاجزة عن حلّها, ومنها مشكلة التضخّم والفقر والركود الاقتصادي وغيرها، وهذا جاء نتيجة افتقار هـــذه المنظّمـــات إلـــى القواعد الصحيحة التي تنظم عملها وتظهر إنجازاتها.

ولقد وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من القواعد الصحيحة والناجحة أسهمت في تنظيم الإبـــداع, ومـــن أهمّها (العقل) الذي جعلته المرتكز الحقيقي للتجديد والتنظيم والمبرمج الحقيقي لمختلف المـــشاكل الاقتـــصادية المتجددة، لذا نجد الشريعة تحثُّ دوماً على التفكير والبحث (أي الجانب العملي للعقل) وهذا ما نجده في العديـــد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تُحفّز نحو هذا الجانـــب, وممّـــا ورد فـــي القـــرآن الكـــريم والأحاديث النبوية الشريفة .. أذكر:

1. القرآن الكريم:

إن استعراض آيات القرآن الكريم بشكل مفصّل للإبداع دليل على إنها اهتمت بمفهوم الإبداع بـــشكل واســـع, ولكني سأنتقي ثلاثة مواقف على سبيل المثال لا الحصر, لتوضيح مضمون الإبداع في القرآن الكريم وكما مبيّن أدناه:

أ. **إبداع ذي القرنين:** عندما تطوّع في بناء السد كما ورد في قوله (ﷻ): ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَـــاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ (سورة الكهف: الآية 69). لقد رأى أن أيسر طريقة لإقامة السد هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين, فطلب من أولئك القوم المتخلفـــين أن يُعينـــوه بقوّتهم المادية والعضلية – فأعينوني بقوة – فجمعوا له قطع الحديد وكوّمها في الفتحة بين الحاجزين فأصـــبحا كأنهما صدفتان تغلفان ذلك الكوم بينهما – حتى إذا ساوى بين الصدفين – وأصبح الركام بمساواة القمتين قـــال: انفخوا على النار لتسخين الحديد – حتى إذا جعله ناراً – كله لشدة توهّجه واحمراره قال: – آتوني أفرغ عليـــه قطرا – أي نحاساً مذاباً يتخلّل الحديد ويختلط به فيزيده صلابة. وقد استخدمت هذه الطريقة حديثاً فـــي تقويـــة

الحديد, فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين وسجّله في كتابه الخالد سبقاً للعلم البشري الحديث (في ظلال القرآن, سيد قطب,2292– 2293).

ب. إبداع نبي الله يوسف عليه السلام: في معالجة المشكلة الغذائية التي مرّت بها مصر طيلة مدة الجدب والجفاف كما ورد في قوله (ﷻ): ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (سورة يوسف: الآية 47)، فكانت طريقته أن أشار إلى أن يكون حصاد الحنطة في سنبله لأن هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية التي تفسده, ومع ضعف الإمكانيات المادية المتاحة آنذاك إلا أنه نجح في تخطّي هذه الأزمة التي كانت تُهدّد شعب مصر.

ج. إبداع الذي أوتي علمه من عند الله عز وجل: والذي عرض على نبي الله سليمان عليه السلام الإتيان بعرش بلقيس قبل أن يرتدّ إليه طرفه كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (سورة النمل: الآية 40), وفي حقيقة الأمر أنه لم يتعامل مع المألوف من قوانين الزمن, وإنما تعامل مع القوة الإلهية التي لا تقف أمامها الحواجز والأبعاد والأمكنة.

وكذلك نجد أن الشرع جعل الإبداع مبني على قواعد صحيحة؛ وذلك لكي يخرج بإطار شرعي صحيح وذلك لغاية عظمى ألا وهي إصلاح المجتمعات لقوله (ﷻ): ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة فصلت: الآية 40)، وهذا كله لن يتحقّق إلا من خلال التسابق إلى الخيرات لقوله (ﷻ): ﴿ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ (سورة البقرة: الآية 148)، لذلك فالإبداع وإيجاد الأفكار الجديدة النافعة يُعزّز من شدة التنافس نحو الخير بكل أشكاله والتنمية بكل صورها والسوق بكل أنشطته وفعاليته.

2. السنة النبوية:

لقد دعت السنّة النبوية إلى توظيف الإبداع في كافّة المجالات لا سيما في الجانب الاقتصادي وذلك من خلال العديد من الأقوال والأفعال وحتى التقريرات التي تُوضّح مشروعيته وأهميّته في تطور المجتمعات, ومن أبرزها: حصّة الإبداع من الاجتهاد وحجم الفكرة الجديدة التي تولد مع الاجتهاد الشخصي, فقد ورد عن النبي محمد (ﷺ) أنه أرسل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قاضياً إلى اليمن، فقال له النبي (ﷺ): بمَ تقضي؟ فقال معاذ (رضي الله عنه): أقضي بكتاب الله (ﷻ)، فقال (ﷺ): فإن لم تجد؟ فقال (رضي الله عنه): أقضي بسنّة رسول الله (ﷺ)، فقال (ﷺ): فإن لم تجد؟ فقال (رضي الله عنه): أجتهد برأيي ولا ألو (أقصر) في طلب الرأي والجهد في الفكر) (سنن أبو داود, أبو داوود و كتاب الأقضية،166)

زد على ذلك فعله عليه الصلاة والسلام عندما جاء بفكرة فداء الأسير بعشرة من المسلمين يقوم بتعليمهم القراءة والكتابة لقاء فكّ أسره (الإبداع العلمي), وهو ما حصل مع أسرى المشركين في معركة بدر.

فالواضح ممّا سبق ذكره أن السنّة النبوية اهتمت بالإبداع والإتيان بالفكرة المبتكرة بكافة المجالات شرط أن تكون متفقة مع تعاليم الشريعة الإسلامية ولكن بنفس الوقت حذّرت من الإبداع الذي من شأنه أن يهدم العقائد, وبالتالي المجتمعات لقول النبي (ﷺ) بهذا الصدد: (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار) (سنن الترمذي, الترمذي, 44).

المطلب الثالث: ضوابط الإبداع في مجالات الاقتصاد الإسلامي:

لقد وضعت الشريعة الإسلامية ضوابط عدة للإبداع والابتكار في الجانب الاقتصادي؛ وذلك لغاية عظمى ألا وهي الحفاظ على مصلحة الأفراد والمجتمعات، فالبعض من المؤسّسات التي اعتمدت على النهج الإبداعي الوضعي فشلت. كونها لم تراعي مصلحة المؤسّسة ككل. بل كان هدفها الأساسي هو تحقيق الربح بغض النظر عن النتائج الأخرى، ولذلك فقد جاء الإسلام بجملة من الضوابط .. ومن أهم هذه الضوابط التي صاغتها الشريعة للإبداع في المجال الاقتصادي هي (مقدمة في منهج الإبداع، زهير منصور، 1415هـ, 191ــ 192).

1. أن الغاية تدرك بالوسيلة الشرعية، قال (ﷻ): ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: الآية 153).
2. إن الإبداع والابتكار الفكري يكون في الأمور التي تتّفق مع الشرع ولا تعارض مقصداً من مقاصده، لقوله (ﷻ): ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (سورة الطلاق: الآية 1).
3. أن يكون الإبداع في كل مجال يزيد معرفتنا بالله (ﷻ) وبدائع خلقه، لقوله (ﷻ): ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة آل عمران: الآية 191).
4. أن تكون الفكرة تعمل على تحقيق المنفعة المادية والمعنوية، لقوله (ﷻ): ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: الآية 44).
5. أن يساهم الإبداع في تحقيق نهضة الأمة الإسلامية وتمكينها وتوحيدها لكي تُتحقّق الغاية الإسلامية لقوله (ﷻ): ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (سورة آل عمران: الآية 103).
6. أن يكون وسيلة فاعلة لتحقيق مقاصد الشريعة الضرورية الحاجية والتحسينية وهي: حفظ الدين والنفس وحفظ النسل وحفظ المال والعقل وهذا ما نجده في العديد من الآيات القرآنية، منها قوله (ﷻ): ﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (سورة النساء: الآية 5)، وقوله (ﷻ): ﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (سورة البقرة: الآية 195) .. وغيرها من النصوص التي تُبيّن غايات وأهداف النصوص الشرعية.

المبحث الثاني

أنواع الإبداع وعلاقة توظيفه بالفعاليات الاقتصادية

المطلب الأوّل: أنواع الإبداع:

لقد كان للتغيير الاقتصادي والتطوّر المتسارع أثر كبير في تنوّع وتعدّد صور الإبداع؛ وهذا ما سنوضّحه في هذه الوقفة:

أوّلاً: الإبداع الجذري:

يُعد هذا النوع من أهمّ الأنواع وأكثرها أهمية على المنظومة الاقتصادية. ويراد بهذا النوع (الإدارة المعاصرة، علي شريف، 1417هـ، 341). " الجانب الذي يُجسّد التحسينات الحاصلة داخل المنظّمة للمُنتج. أو بمعنى آخر يُراد به ذلك الجانب الحيوي الذي يُجسّد الأفكار التي يُقدّمها الملاك في المنظّمة " . حيث يعمل هذا

النوع من الإبداع على تغيير الصيغ (القوانين والتنظيمات) داخل المنظّمة حرفياً (جذرياً)، لذا تحتاج الى إدخـــال مهارات جديدة ومتخصصة.(Innovation Et Propriete Industrelle, Gorbel Passal, 2003, p3)

ثانياً: الإبداع التدريجي:

ويُعد هذا النوع من أكثر الأنواع موازنة ونجاحاً. كونه يحدث بشكل متسلسل ومترابط, ويقصد به: " نوع من الإبداع والابتكار الذي تتّبعه المنظّمة للتحسين التدريجي، حيث إنه لا يحتاج إلى مهارات جديدة فهو عملية إتقان للمنتجات أو الأساليب الفنية للإنتاج بطريقة تُحسّن النوعية الإنتاجية والتنويع بها, ويكون بقاؤه مـــستمراً طـــول فترة التقنية " (إستراتجية الإنتاج والعمليات، نبيل محمد المرسي، 1422هـــ, 331ــ 332).

حيث إن هذا النوع يُعد من أسهل الأنواع, كونه لا يفرض على المنظّمة أساليب جديدة, بل إنه يجعل القديمـــة أساساً للجديدة. بمعنى آخر إنه يعمل على تطويرها، وكذلك تتميّز بإمكانية تطبيقه بشتّى الظروف وأيضاً يطـــول لمدة أطول (فترة استخدامه أطول من بقية الأنواع) بعكس الأنواع السابقة، وكذلك يساهم في خلق رؤيا طويلـــة الأمد للمزايا التنافسية.

ويُعد هذا النوع من أنجح الأنواع التي يُمكن تطبيقها في أغلب الدول العربيـــة, كونهـــا دول حديثـــة النمـــو الاقتصادي، فمثلاً استطاعت دولة الإمارات العربية المتحدة وبفضل تطبيقها لسياسة الإبداع التدريجي أن تتغلّب على الكثير من المصاعب التي واجهتها, وهذا ما انعكس بشكل إيجابي على اقتصادها. حيث صـــنّف المنتـــدى الاقتصادي العالمي للعام السابع على التوالي (2005ــ 2012) بأنه الاقتصاد العربي الوحيـــد المعتمـــد علـــى السياسة الإبداعية. حيـــث جـــاء تسلـــسله الأول عربيـــاً و25 عالميـــاً (www.forbes: middle ast.com) و(http://www.albayan.ae)، وهذا يوضّح لنا مدى أهمية الإبداع في المجال الاقتصادي باعتباره المحـــرّك الأساس للتطوّر والتقدّم المنشود.

وممّا سبق يُمكن القول بأن الإبداع بشتّى أنواعه يتوقف على العاملين أنفسهم. أي إنه يعتمد على الأفـــراد لا على المنظمات, فهم اللذين يعملون على ما هو قائم لتحسينه مستندين بقدراتهم الإبداعية المستندة علـــى ثـــلاث مرتكزات هي (الولاء التنظيمي (سلوك منضبط وإنجاز مبدع)، أيمن المعاني، ص91ــ 93).

1. الطلاقة .
2. المرونة .
3. الحسّاسية في تلمّس الأشياء.

فالمبتكِر والمبدِع يتميّز بقدرته على رؤية الأشياء بمنظور مختلف عن منظور الآخرين, وهذا لن يتحقّـــق إلا من خلال المعاينة والبحث عن كل ما يخدم المنظومة الاقتصادية، وكذلك فمن واجب المنظومة الاقتصادية العمل على تنمية المهارات الإبداعية والاهتمام بها من خلال عمل ورشات تدريبية تُنمّي هذا الجانب بشكل دائـــم بمـــا يخدم مجالات التنمية المستدامة كافّة.

المطلب الثاني: نتائج توظيف الإبداع وعلاقته بالفعاليات الاقتصادية:

للإبداع آثار كبيرة ونتائج حسنة وفاعلة في الجانب الاقتصادي بصورة خاصّة يُمكن إيجازها بالآتي:

1. إن للإبداع بكافّة أشكاله دور مهم في بناء المؤسّسة الاقتصادية من خلال مساعدتها على مواجهة التحـديّات المستقبلية والاستجابة للمنافسات التنظيمية الأخرى سواء داخل المجتمعـات أم خارجهـا (نظريـات منظمـات الأعمال، أميمة الدهان، 1417هـ 178).

وهذا ما نجده في أغلب المنظّمات الاقتصادية اليابانية والأمريكية ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية, حيـث جعلت من الإبداع والابتكار قاعدة أساسية في التغلّب على المصاعب التي واجهتها, وهذا ما نجحت بـه حيـث أصـبحت الـصناعات اليابانيـة والأمريكيـة (علـى سـبيل المثـال) مـن أجـوّد الـصناعات وأكثرهـا تجاوزاً للمصاعب (تنمية الإبداع، د. زين العابدين درويش، 1403هـ, 22). وهذا يُخالف تماماً ما عليه الحـال في العديد من الدول العربية التي تُعاني انتكاسات وتراجعات بعد حدوث أزمات سواء أكانـت هـذه الأزمـات صغيرة أم كبيرة.

2. تحقق الأفكار الإبداعية التي يتقدّم بها العاملون في المنظمة فوائد ومنافع للمبدعين أنفسهم من خلال المكافآت التي يحصلون عليها من المنظّمات المستفيدة من أفكارهم الإبداعية, إضافة إلى المنافع التي تعود على المنظّمـة ككل (الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية، غانم فنجان موسى، 1415هـ 112).

حيث إننا نجد أن المؤسّسات الغربية هي أكثر المؤسسات المطبّقة لهذا المبدأ, حيث عملـت علـى تأسـيس وحدات أطلق عليها وحدات حفظ حقوق الابتكار, أو تُسمّى " براءات الاختراع " حيـث تعمـل علـى تحفيـز المبتكرين من أجل استثمار خبراتهم ووقتهم للتوصّل إلى ابتكارات في ظل الظروف المتغيرة.

(struc ture and change in EconomicHistory, Douglass North,1998,p 8-9)

3. إن الإبداع ينشط ويُعزّز أداء المنظّمة وكفاءتها بشكل عام بما يضمن لها النجاح, ويمكـن أن تـصبح قائـدة للسوق، حيث نجد العديد من الدول أمثال الصين وكندا واليابان يضعون معيار الإبداع (البحث والتطـوير) مـن ضمن المعايير الأولى في تنمية مؤسساتها الاقتصادية، حيث إن هذه الدول تنفـق الكثيـر مـن المخصّـصات (الموارد) المالية على هذا الجانب, حيث أوضحت الإحصائيات أن الدول المتقدمة تُخصّص نسبة عالية نسبياً من الناتج الإجمالي للبحث والتطوير، وقد بلغت النسبة في الولايات المتحدة (2.8%) والإتحاد الأوروبـي (1.9%) وفي اليابان (2.8%) أي إنها في الدول المتقدمة ما بين (2 – 3%) في مقابل (0.4%) في الدول النامية عام 1996(إدارة الإبداع – المفاهيم والخصائص والتجارب الحديثة, د. نجم عبود نجم، 2003م,297).

أمّا عام 1999م فإن كندا مثلاً تنفق بمجال تطوير القطاع الصناعي وحده حوالي (0.99%)، بينما تُخـصّص الولايات المتحدة الأمريكية حوالي (1.96%)، أمّا اليابان تنفق (2.01%)، بينما نجد الدول العربية مجتمعة تنفق حوالي (0.2%) (Economie de Iinnovation Paris, Guellec Dominique, , 1999, p7) ، وحسب تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بالتعاون مع منظّمة (الأونكتاد) المعنيّة بالتجـارة والتنميـة الـصادر فـي ديسمبر2010 فإن (الاقتصاد الإبداعي) هو الأكثر استقراراً بعد الأزمة المالية العالمية، حيث تضاعفت صادراته عالمياً خلال الفترة من 2002 إلى 2008 لتصل إلى 592 مليار دولار.

وعلى صعيد المستوى العالمي تفوّقت الصين على كل دول العالم بفارق كبير في هذه التجارة القائمـــة علـــى الإبداع, حيث استحوذت على (20.8%) من هذه السوق خلال الفترة 2002 – 2008 ، بينما اقتـــصر نـــصيب الولايات المتحدة التي أتت في المرتبة الثانية على (8.6%) (مقالة بعنوان (الاقتصاد الإبـــداعي خيـــار العـــرب لتقليص الاعتماد على الخارج), رضا عبد الودود, 2011)، وبالمقابل فإن الإبداع محفوف بالمخاطر واحتمالات الفشل، فعلى سبيل المثال تصل نسبة فشل الابتكارات في مجال المنتجات إلى (80%) (من حيث العموم), وقـــد توصّلت العديد من الدراسات المتعلقة بالابتكار في مجال المنتجات إلى أن هناك معدّلات فشل عالية في الانتقال من مرحلة الفكرة الأصلية إلى منتج ناجح في السوق، ويوجد شبه اتفاق بين هذه الدراسات على هذه المعدلات، وتراوحت هذه النسب بين (30%) وارتفعت في حالات عديدة إلى (95%) (التسويق الإبتكاري، د. نعيم حـــافظ أبو جمعة،2003، 112). وهذا كلّه ساهم بأن تكون هذه الدول بالمرتبة الأولى أو بـــالأحرى قائـــدة للـــصناعة الرائدة.

4. كذلك ساهمت القاعدة الإبداعية في إبدال رأس المال الطبيعي برأس مال متراكم ومنجز، ومن جهة أخرى تقليص الحماية على رأس المال الطبيعي من خلال رفع الفعالية الاقتصادية للأساليب الفنّية والمنتجات, وهذا كلّه يصبُّ في قاعدة إعادة دراسة الخطة الصناعية بشكل دوري ومستمر (Linnovation te chnoligue audeveloppement durable, Vatenduc Gerard et Warrant Francoise, 2001, p16) وهذا نجده في العديد من الشركات الصناعية, ومن ذلك نجد كلاً من شركة (جنرال موتورز) وشركة (فورد) تعملان على وضع خطط مبتكرة ومتطوّرة سنوياً, وتكون هذه الخطط تعمل على جانبين: الجانب الأول: يعمل على إبدال رأس المال الطبيعي برأس مال منجز (سلع)، والجانب الثاني: يعمل على تطوير المهارات الصناعية لكي تندمج مع الخطط المبتكرة (Lesde terminates Economiquesde Innovation , Randall Morck, 2001, p5)، على الرغم من إن صناعات هاتان الشركتان تُحقّقان أعلى نسبة مبيعات, إلا أنه يُوضّح المساعي التنافسية التي تطمح كلاً منهما إلى تحقيقها بأن تكون قائدة للسوق, حيث أشارت العديد من الدراسات بأن هاتين الشركتين تُنفقان أكثر ممّا تُنفقه فرنسا على هذا الجانب.

5. ساهمت كذلك في إيجاد علاقة بين الموارد الطبيعية ودخل الفرد بهدف زيادتها, حيث أوضحت الكثير مـــن الدراسات بأنه توجد علاقة وطيدة بين الإبداع والمبتكرات الجديدة وبين لوغاريتم الدخل القومي لكل فرد, حيـــث أوضحت الهيئة الإستراتيجية الصناعية بكندا: (بأنه توجد علاقة بين الدخل القومي ومعدل الأفكار المبتكرة حيث رأت بأنه كلمّا زاد معدل دخل الفرد انعكس ذلك بشكل إيجابي على معدل الأفكار المبتكـــرة بنـــسبة 0,001% وبقيمة 0,69% من دخله (العوامل المؤثرة في تنمية الإبداع في المنشأة الصناعية، مسلم علاوي السعد و مزهر عبد السادة العلياوي،1421هـــ, 222). إذن فالعلاقة طردية بين زيادة الدخل وزيادة المهارات والكفاءات, وهذا ما نجده في أغلب المؤسسات اليابانية.

6. كذلك ساهم تطبيق القاعدة الإبداعية في المجال الاقتصادي في الكشف عن طرائق جديدة تُسهم فـــي خفـــض التكاليف الإجمالية للمنظّمة وللعمليات الإنتاجية بصورة خاصة (العوامل المؤثرة في تنمية الإبداع فـــي المنـــشأة الصناعية، مسلم علاوي السعد و مزهر عبد السادة العلياوي، 1421هـــ, 222). فعلى سبيل المثال نجد شـــركة تويوتا (ToyoTa) الرائدة في صناعة السيارات تبحث باستمرار على ابتكار عمليات تـــصنيع جديـــدة ومرنـــة

تساعدها في تخفيض جانب كبير من التكاليف الثابتة وإعطائها ميزة من التكلفة المنافسة تتفوق فيها على منافسيها في السوق (مساهمة الإبداع التكنولوجي في تدعيم المركز التنافسي للمنظمة، د. بن بريكة عبد الوهـــاب زيـــن التركي,1421هـــ, ص6ــ7).

7. يُساهم الإبداع الاقتصادي في إنتاج سلع وخدمات جديدة بما يُلبّي حاجة المستهلكين (العوامل المؤثرة في تنمية الإبداع في المنشأة الصناعية، مسلم علاوي السعد وآخرون، ص223)، حيث إن أغلب المنظّمات فـــي الوقـــت الحالي تسعى إلى تطوير المنتوج بهدف تحقيق أعلى نسبة من المبيعات في ظل التنافس الشديد الملاحظ، لذا لن تُحقّق هذه المنظّمات مساعيها إلا من خلال إدخال عناصر جديدة وهذا كله لن يتحقق إلا مـــن خـــلال الإبـــداع والبحث عن أفكار إنتاجية جديدة وذلك بفعل تنوع الأذواق والأسواق والتسابق والتنافس في مجالات إنتاج السلع والخدمات.

بقي أن نستعرض أوجه الإبداع في أهم الفعاليات الاقتصادية وتأثيره في تطوير هذه الأنشطة الفاعلة والتـــي لا يمكن للاقتصاد أن يحقق أهدافه عند الاستغناء عنها, وهذه الفعاليات بإيجاز شديد هي:

1 – توظيف الإبداع في مجالات الإنتاج, وفي هذا المجال نجد أن استخدام كافة الوسائل التقنيـــة والتكنولوجيـــة التي أبدع أصحابها في تصنيعها واستخدامها من أجل الوصول إلى مرحلة الجودة في: تثمير موارد الثروة وفق مصادر الشريعة ومقاصدها من أجل رخاء المجتمع الإسلامي بتحقيق حاجاته المادية والمعنوية (علم الاقتـــصاد والمذاهب الاقتصادية مقارناً بالاقتصاد الإسلامي, د. مصطفى العبد الله الكفري و د. صالح حميد العلي, 389).

ولهذا يعد توظيف الإبداع في الإنتاج أحد أهم مقومات النهوض بأنشطة الاقتصاد الإسلامي كما أنـــه عبـــادة ووسيلة لتنفيذ أوامر الله عز وجل.

2 – توظيف الإبداع في مجالات التوزيع, إذ من المعلوم للجميع أن لفظ التوزيع يحمل أكثر من معنى وأكثـــر من نوع وهو يعني عند الاقتصاديين تقسيم الدخل والثروة على الأفراد بشكل عادل .

وتعد مشكلة إعادة توزيع الدخل من أعظم المشكلات الاقتصادية التي تواجه النظم الاقتـــصادية المعاصـــرة, فكيف بمن يساهم بإبداعه في وضع حلول جزئية أو كلية لهذه المشكلة سواء كان ذلك قبل الإنتاج أم بعده.

3 – توظيف الإبداع في مجالات التبـــادل, فعملية التسويق للسلع والخدمات وتداولها يعد حلقة وصل بين عمليتي الإنتاج والاستهلاك وذلك في جميع الأنشطة التجارية ومن خلال نقل السلع من مكان الإنتاج إلى مكان الطلـــب عليها, ودخول الأفكار الجديدة والمبتكرة في هذا الميدان يشير إلى وجود سرعة فـــي نقـــل الـــسلع والخـــدمات وإيصالها إلى المكان المناسب وبأقل التكاليف والمخاطر.

ولو نظرنا إلى أسعار بعض السلع نجد إن الحصة الأكبر من تكاليفها يعود إلى نقل الـــسلعة وتخزينهـــا ومـــا تتحمله من رسوم كمركية وأجور تحميل وتفريغ ونقل ....الخ.

4 – توظيف الإبداع في مجالات الاستهلاك, ولا شك إن استهلاك السلع الطيبة مباح في الإسلام وكما هو معلوم للجميع فان الغرب قد أعطى اهتماماً واضحاً لقضية إعادة تصنيع السلع في كثير من الصناعات بوصفها مرحلة مهمة من مراحل التنمية المستدامة التي أعطوها جلّ اهتمامهم وأخذت نصيباً كبيراً من مشاريعهم التـــي ظلـــت تفكر في الجيل القادم وضرورة توفير الموارد الطبيعية له .

المبحث الثالث

قواعد الاقتصاد الإسلامي في توظيف الإبداع

إن الإبداع له سمات كثيرة لا سيما في المنظور الإسلامي فهو يثير في النفس أشـياءً غيـر مألوفـة تثيـر الفضول عند الكثيرين من المسلمين وغيرهم وهو من الوظائف التكليفية التي أوجبها الله (ﷻ) على البشر كافـة فهي ليست خياراً كما يتصورها البعض بل هي واجباً على كل فرد قادر ، فالله (ﷻ) عندما أستخلف الإنـسان في هذه الأرض كان لحكمة عظيمة هي طاعة الله (ﷻ) وعبادته وهذا لن يتحقق إلا من خلال البحـث العلمـي ولهذا أوجد الإسلام العديد من القواعد المنمية لهذا. ولذلك انتقيت ثلاثة قواعد مهمة تُوضّح ذلك كما يلي:

أولاً : قاعدة التمكيـــن:

تُعد قاعدة التمكين من أهمّ القواعد التي أوجدتها الشريعة الإسلامية لتنمية القدرات الإبداعية لدى الفرد بكافـة المجالات ولاسيما المجال الاقتصادي, وهذا ما نجده بشكل واضح في العديد من الآيات القرآنية, منهـا: قولـه (ﷻ): ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (سورة هود: الآية 61). وقوله (ﷻ): ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (سورة الكهف: الآية 84)، والتمكين عند أهل اللّغة مأخوذ من إقرار الشيء وتثبيتـه في مكان, ثم استعير لدلالته على التملّك والقدرة والسيطرة والتحكّم. والتمكين في المفهوم الشرعي يراد بـه: " مناط التكليف والذي يترتب عليه الثواب والعقاب "(تفسير البحر المحيط, محمد بن يوسف الشهير بـابن حيـان الأندلسي,1422هـ 576).

ومن جهة ثانية هو مظهر من مظاهر الفعل الإلهي المطلق يتيح للفعل الإنساني إمكانية تحقيق غاياته المتعددة في حال تقيده بالفعل الإلهي المطلق تكوينياً (بالالتزام بالسنن الإلهية التي تـضبط حركـة الوجـود) وتكليفيـاً (بالالتزام بقيم وقواعد الوحي), ومن جانب آخر هو مفهوم قرآني كلّي شامل لكل مجالات الحياة ولا يقتصر على مجال معين (كالمجال السياسي), غايته الكبرى ليـست الثـروة أو المنـصب أو الـسلطة بـل حفـظ الـدين (www.wordpress.com)، أمّا بالمعنى الاقتصادي فيراد به: " مـنح الأفـراد العـاملين القـوة والحريـة والمعلومـات لـصنع القـرارات والمـشاركة فـي اتخاذهـا داخـل المنظمـة " (Management 5Thed New York, Daft, Richard L, 2001, p502). ومن جهة أخرى يعني: قدرة الفرد في الحصول على حقوقه المالية والمعاشية والمساهمة في تنمية القدرات والطاقات والموارد الاقتـصادية المتاحة خدمة للفرد والمجتمع.

ومن خلال استقرائنا للمفهومين من جهة شرعية واقتصادية نجد ما يلي:

1. إن التمكين حسب المفهوم الشرعي وهو تفعيل القدرات ويتمثل بأن الله (ﷻ) جعل للإنـسان إمكانيـة فـي التعرّف على الأرض ويتركّز نجاح هذا الجانب بمنح الإنسان القدرة على جعل هذه الأرض مستقراً ومعاشاً يفيد ويستفيد منها (أي إنه دائمي ولا يقتصر على وقت محدد) وفق ما ينسجم مع أحكام الشريعة الإسـلامية, وبهـذا الصدد نرى العديد من الإشارات القرآنية التي توضّح ذلك, منها قوله (ﷻ): ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَـا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الأعراف: الآية 10)، أمّا التمكين حسب المفهوم الاقتـصادي فإنـه تمكين نظري (مادي فقط) يقوم على واقع افتراضي يختصّ بمرحلة معيّنة لحل مشكلة معيّنة وينتهي فـي حـال تحقيق النجاح والوصول للأهداف.

2. يتميّز التمكين وفق متطلبات الشريعة الإسلامية بأنه روحي ومادي (محسوس): أي يـــدرك الإنـــسان بأنـــه المسؤول عن البحث الدائم عن كل ما من شأنه أن يخدم المنظومة الكونية، وبهذا الجانب يبـــرز دور الإنـــسان بترجمة القدرات التي منحها الله (ﷻ) له بكل ما يساهم في التطوير والإبداع بكافة المجالات لا سيما الاقتصادية وبهذا تتحقّق وظيفته الأساسية التي أناطه الله (ﷻ) بها, ألا وهي وظيفة الاستخلاف التي أوجـــدها الخـــالق (ﷻ) للإنسان لكي يحقّق آماله وغاياته لقوله (ﷻ): ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْـــدِ خَـــوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (سورة النور: الآية 55)، بينما نجد التمكين حسب المفهوم الاقتصادي يكون عبارة عن وظيفة مادية تعمل لخدمة المنظومة (الشركة) وتنتهي هذه الوظيفة في حال انتهاء المنظومة من عملها التي تعمل على انجازه.

لذا نرى أن التمكين بالمفهوم الشرعي أوسع فهماً وأكبر أثراً عما هو عليه في المفهوم الاقتـــصادي كـــون الأول يستثمر جميع الجوانب الإنسانية بينما الثاني يستثمر الأفكار المعيشية فقط، ولهـــذه القاعـــدة مميـــزات عديدة أهمها:

أ. تنويع أشكال الإبداع, فلا يقتصر على جانب واحد, ولا عند حدود معينة إلا إذا كان فيه ضرر علـــى العامّـــة حسب قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) (الموطأ- كتاب الأقضية, مالك, 745).

ب. وكذلك تمتاز هذه القاعدة بأنها تحترم القدرات على اختلاف صفاتها ومستوياتها ومراحلها وهذا ما نجده في العديد من الآيات القرآنية التي تحثّ على هذا الجانب, ومنها قوله (ﷻ): ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّـــهُ عَمَلَكُـــمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة التوبة: الآية: 105).

ج. إن هذه القاعدة تهدف بالأساس إلى جعل القدرات أكثر ترابطاً مع بعضها الـــبعض لكـــي تُحقّـــق التـــرابط الاجتماعي لقوله (ﷻ): ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (سورة المؤمنون: الآية 52). وقوله (ﷻ): ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (سورة المائدة: الآية 2).

ونجد آثار هذه الأهداف واضحةً في المؤسّسات الاقتصادية اليابانية التي تتّبع منهج التعاون والاحترام المتبادل داخل المؤسسة الاقتصادية, وكان أثر ذلك واضحاً في زيادة مستوى التطـــوير فـــي المؤسّـــسات الاقتـــصادية والصناعية (إدارة الإبداع والابتكار، سليم بطرس جلدة، زيد منير عبوي، 1426هـــ, 166).

د. وأيضاً تتميّز هذه القاعدة بمرونتها، حيث إنها تساعد الفرد على اتخاذ أساليب وطرق مختلفة لحل المشكلات التي تواجه المؤسّسة الاقتصادية من خلال النظر إلى أسبابها من عدة زوايا وليس من زاوية واحدة ومن ثم العمل على ابتكار الحلول الجديدة لها (مقدمة في الإبداع، ناديا السرور، 1422هـــ, 118).

هـــ. تفعيل مبدأ الرقابة الذاتية الذي حثت عليه الشريعة الإسلامية، كون هذه القاعدة تعمـــل علـــى تحريـــر أو بالأحرى تقليل دور المنظمة الاقتصادية في تشديد الرقابة على العاملين كونها تشعره بأنه (العامل) هو من يقود الفكرة الإبداعية وليس المنظّمة ممّا يساهم في جعل رقابتها (المنظمة) تتجه بشكل أساسي نحـــو الأعمـــال ذات القيمة الإستراتجية للمنظمة وهذا بدوره سوف ينعكس على أداء العاملين ويجعلهم أكثر رضـــا وأكثـــر إنتاجـــاً وبالتالي ابتكار سلعي جديد يساهم في تقدم المنظمة (إدارة الإبداع والابتكار, 167ــ 168).

وممّا سبق يمكن القول بأن قاعدة التمكين تُعد من أنجح القواعد الشرعية التي تساهم في توليد منظّمة متعلمـــة تتميّز بقدراتها الأدائية الناجحة التي تسعى دائماً إلى كشف القابليات والقدرات الإبداعية لـــدى العـــاملين داخـــل

المنظومة الاقتصادية والعمل على دمجها لإنتاج وابتكار حلول ناجحة تساهم في توليد قدرات تنافسية جديدة تساهم في تقدّم المنظومة الاقتصادية ككل.

بقي أن نشير إلى أن الإتقان في العمل وجودة السلعة هي أساس الإبداع الإنتاجي، جاء في الحديث النبوي قوله (ﷺ): (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, علي بن أبي بكر الهيثمي, 1407هـ, 98). فيكون الإتقان سبباً مباشراً في نجاح ترويج السلع التي تعطي للمستهلك الثقة المطلقة في السلعة التي يريد شرائها وبذلك يتمكن المبدعون المنتجون تحويل الأفكار إلى رؤوس أموال واستثمارات وأرباح تخدم الجميع.

ثانياً: قاعدة الاستثمار المعرفي:

تعد هذه القاعدة من أهم القواعد التي تنظم حالة الإبداع والابتكار وتسيّره نحو الاتجاه الصحيح، حيث إن الله (ﷻ) وهب الإنسان العقل, وطالبه باستثمار هذه النعمة كما أراد (ﷻ)، حيث جعل الكون مجالاً واسعاً ومتنوعاً لكل أشكال المعرفة وهذا ما يبينه الشرع في العديد من المواضع ومنها قوله (ﷻ):﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية 219)، فالاستثمار المعرفي يعد من أهم المتطلبات الحيوية لنجاح المجتمع عامة والفرد خاصة إذ لا يمكن أن يحدث تطور واكتشاف من دون حصول المعرفة كونها القاعدة الأساسية لإبراز الفكر التنموي (موسوعة التدريس، مجدي عزيز إبراهيم،1422هـ، ص693)، وهذا ما دعت إليه الشريعة الإسلامية ودعت إليه, إذ لا يمكن أن تنمو المؤسسة وتتطور من دون دراسة وبحث متواصل مع البيئة والعالم.

فالاستثمار المعرفي ساعد العديد من الدول على تكوين نظم اقتصادية متطورة فقد دلت التجارب أن مجموعة من الدول النامية مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة وماليزيا وهونغ كونغ واليابان تعد من الدول المطبقة للاستثمار المعرفي حيث يطلق عليها الدول الجاذبة أو اللاقطة للمعرفة ثم تطبقها إلى مرحلة التنافس مع الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وغيرها (أسس مجتمع المعلومات وركائز الإستراتيجية العربية في ظل عالم متغير، فتحي عبد الهادي، 1418هـ ,2ـ3).

حيث أن هذه الدول وبفضل سياستها المعرفية نجحت في استعادة الكثير من مهاراتها المهاجرة من خلال وضعها برامج واعدة تعمل على الاستفادة من هذه المهارات على المستويين المحلي والعالمي تمكنها من الحصول على الدافعية الحقيقية للتنمية المعرفية بشكل عملي أي أنها تحولها من مجرد فكرة ورأي إلى استثمار تنفيذي (إنتاج حقيقي (www.tanm.ma)، وأما بالنسبة للواقع العربي نجد أنه من البيئات غير المشجعة للاستثمار المعرفي حيث أوضحت الإحصائيات أن معدل ما تخصصه الدول العربية في مجال البحث والتطوير حوالي 0,02% من دخلها القومي مقارنة بالبلدان النامية فكوريا الجنوبية على سبيل المثال تنفق حوالي 2,89% سنوياً ، بينما تخصص الصين حوالي 1,5% ووجهت أولوياتها نحو الزراعة وتطوير البنى التحتية وتطوير عمليات التصنيع وهذا ما أشرنا له مسبقا (www.tanm.ma).

فالاستثمار المعرفي أصبح قاعدة أساسية لاقتصاد ناجح ومنظّم فالإخفاق الذي تعاني منه أغلب الدول الإسلامية والعربية من بطالة مقنعة وتراجع اقتصادي وغيرها من المشاكل جاء نتيجة حتمية لابتعادها عن التعاليم الإسلامية التي سبقت جميع النظم العالمية في الدعوة إلى الاستثمار المعرفي كونه الأساس الذي تُبنى

عليه المؤسسات الاقتصادية، وهذا ما أشارت إليه العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة واعتبرته جزءاً من العبادات ومن الواجبات التي كلّف بها لقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، ﴾ (سورة العلق: الآية 1-5)، وهذا ما يوضّح اهتمام الإسلام باقتصاديات التعليم بشكل مستمر، فعندما يتحوّل الاقتصاد من المادة إلى المعرفة, فأن ذلك سوف يُساهم في وضع إستراتيجيات جديدة تُساهم في القضاء على البطالة المقنعّة التي نعاني منها بشكل كبير, والتي أدّت بدورها إلى تأخّر الإنتاج, وزيادة التكاليف, أثرت بشكل كبير على كلٍّ من المنتج والزبون, وولّدت عائقاً جديداً أمام الإبداع والابتكار السلعي الذي دعا إليه الفكر الاقتصادي الإسلامي.

ثالثاً: قاعدة التحفيز (تنمية القدرات والطاقات والمواهب):

تصنّف قاعدة التحفيز من ضمن أفضل القواعد المساعدة على إطلاق وتنمية القدرات والمواهب الإبداعية والإبتكارية في المنهج الإسلامي؛ وذلك كون الحافز يُعد من أهم الدوافع المرتبطة بتحريك الإنسان الذي يميل بطبعه إلى التشجيع. لذا نجد الإسلام في الكثير من أحكامه وتوجيهاته يشير إلى هذا الجانب منها: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (سورة النساء: الآية 173). فلقد عملت الشريعة الإسلامية على تبنّي العديد من المناهج الأساسية التي تخدم هذا الجانب, ومنها تبنّي مجموعة من القيم التي تُنمّي الاتجاهات المبدعة وكذلك العمل على تنظيم المؤسّسة الاقتصادية لكي يكون هذا التحفيز مثمراً (الإبداع الإداري والتطوير التنظيمي، الختم محجوب، 1406هـ, 107).

وهذا ما نجده في العديد من الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (سورة القيامة: الآية 36)، وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة: الآية 2)، فكل هذه الآيات تدعوا إلى ضرورة البحث والتطوير والبناء.

ومن أبرز مقتضيات هذه القاعدة (مقومات الإبداع الإداري في المنظمات المعاصرة، عبد المعطي عساف، 1415هـ, 42):

1. الإنصاف والعدالة بين العاملين داخل المنظّمة حسب قاعدة (الجزاء على قدر الفعل) لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة الجاثية: الآية 15)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (سورة المدثر: الآية 38)، حيث أوضحت العديد من الدراسات أهمية أن يكون هنالك عدالة في مكافأة العاملين فمن غير الصحيح جعل المكافأة جزء من المنصب أو الوظيفة بل يجب أن تكون بحسب الاجتهاد والبحث التنموي الذي يخدم المنظمة (أثر الحوافز على فاعلية الإدارة والإنتاج، محمد هيكل، 1419هـ, 36). لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): بهذا الصدد: (رحم الله امرؤ عمل عملاً فأتقنه) (شعب الإيمان، البيهقي,344).

2. تنويع الحوافز وعدم تحديدها: فمن أولويات نجاح هذه القاعدة هو زيادة المكافآت وتنويعها قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى﴾ (سورة النجم: الآية 41)، أي يجب أن يكون هنالك تمييز بين الإنسان المتقن لعمله والمحافظ على وقته, وبين الإنسان المتقاعس عن العمل، حيث أشارت العديد من الدراسات إلى ضرورة عدم تحديد الحوافز ووضعها في نظام محدد بل يجب أن تتنوع بما يتناسب مع عمل كل بيئة أو منظمة أو نشاط

(مهارات التفكير الإبداعي وعلاقته باتخاذ القرار، نبيل عبد الحافظ، 1415هـ, 67). أي لا يجوز المساواة بين الفرد المبدع وغير المبدع والفرد المنتج وغير المنتج.

ولقد كان لهذه القاعدة أثر كبير في تطوير الإمكانيات الإبداعية داخل المنظومة الاقتصادية من خلال(السلوك التنظيمي (مفاهيم وأسس وسلوك الفرد والجماعة في التنظيم)، كامل المغربي،1413هـ,206) و(دليل الإدارة الذكية لتنمية الموارد البشرية في المنظمات المعاصرة، عبد الحميد المغربي،1427هـ, 167):

أ. تنمية القدرات الإبداعية الفرديـــة: وذلك من خلال زيادة القدرة على التحليل والوعي بمختلف الأبعاد لمعالجة المشاكل التي تُواجه المنظّمة من خلال جعل الفرد محوراً أساسياً لإيجاد وابتكار الحلول المناسبة التي تساهم في تطوير المُنتج.

ب. تطوير عمل المنظمة: عن طريق عمل تقويم مستمر للأداء العام لكشف النواحي الإيجابية والسلبية بصورة دائمة، وهذا كلّه يُساهم في تطوير وتقويم السلوك الاقتصادي والإبداعي الذي تطمح له المنظّمة.

ج. تحقيق الميزة التنافسية: فالمنظّمة عندما تفعل هذه الجوانب سوف تتمكّن بالنتيجة أن تبتكر منتوج سلعي وطريقة تسويقية مبتكرة تساهم في جلب أسواق جديدة.

فالواضح ممّا سبق ذكره أن الشريعة الإسلامية أوجدت العديد من القواعد التنموية التي من شأنها تنمية الإبداع بكل أشكاله في الجانب الاقتصادي ويمكن توضيحها بالشكل الآتي:

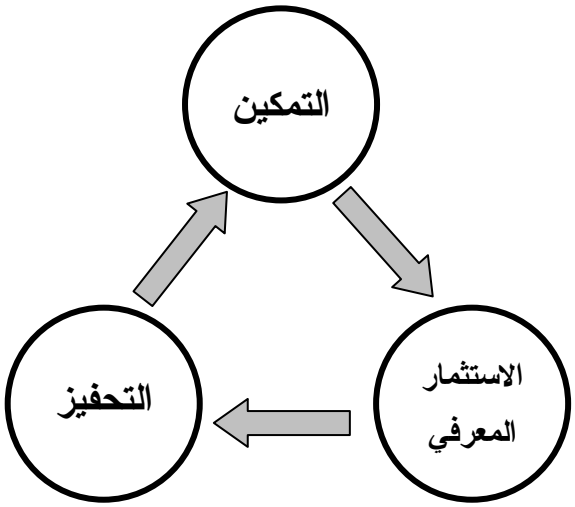

الشكل يوضّح قواعد الإبداع في الاقتصاد الإسلامي

ولكن بالرغم من الإمكانيات والأطروحات التي أوجدتها الشريعة الإسلامية لتنمية هذه القواعد مقارنة بالوضع الحالي لوجدنا أغلب البلاد الإسلامية لا تستثمر هذه القواعد بالرغم من وضوحها وإمكانية تطبيقها على الواقع، فمثلاً لو اطلعنا على معدلات اهتمام الدول الإسلامية لقاعدة البحث والتطوير نجد أن معدلات براءات الاختراع المسجلة في عموم البلاد العربية والإسلامية ما بين عامي 2005 و2009 نجد أنها لا تتجاوز 475 براءة اختراع ، بينما نجد ماليزيا وحدها والتي يبلغ عدد سكانها حوالي 26 مليون نسمة سجلت ما يقارب 566 براءة

اختراع (www.okaz.com)، فنلاحظ أن ماليزيا بالرغم كونها حديثة التطوّر إلا أنها نجحت وفي فترة وجيزة أن تستثمر التعاليم الإسلامية بأحسن استخدام، لذا فمن واجب الدول العربية والإسلامية الوعي التام لهذه القواعد وتعمل على دمجها واستثمارها استثماراً فعلياً وتحويل اقتصادها من اقتصاد مادي إلى اقتصاد معرفي (تكنولوجي), لأنه الأسرع إنجازاً والأقل خطأً وكلفةً والأكثر نفعاً لعامّة الناس, لذلك أصبحت مطلباً شرعياً يجب الاهتمام به على صعيد الأفراد والمجتمعات.

إن المسلم المبدع في ميدان الاستثمار والتسويق تتوفر لديه القدرة على التوصّل **إلى أفكار جديدة وغير تقليدية, ولديه الرغبة في ذلك وفي نفس الوقت ليستطيع أن يحوّل الأفكار إلى الجانب العملي سواء كان ذلك على صعيد الإنتاج أم التوزيع أم التبادل أم الاستهلاك معزّزاً بذلك جودة السلعة المنتجة والمتوفرة في السوق وسعرها (بحيث يكون مناسباً للمنتج والمستهلك) والترويج لها والإعلان عنها.**

والذي يعنينا هو أن توظيف الإبداع **في أهم جوانب الاقتصاد يعني خلق فرص أكبر للتنمية وتحقيق الأرباح وزيادة الدخل والحد من البطالة, وهذا يتطلب جهوداً حقيقية وحركة نشيطة وتداول مستمر في السوق, والنتيجة سرعة انتشار الإبداع وتحفيز المبدعين وتطوير مهاراتهم بما يخدم واقع المجتمعات الإسلامية وغيرها, حتى تظهر في الآونة الأخيرة مفهوم المنتج والمنتج الجديد، والخدمة والخدمة الجديدة ، وهذا كله بفضل اكتشاف فكرة تداخل الاستخدامات بواسطة آلة أو سلعة جديدة.**

وقد ذكر الدكتور طارق السويدان في موقعه على الانترنت: " إن في العالم أكثر من ألف اختراع علمي وهي من الاختراعات التي يعتمد عليها الناس إلى اليوم ترجع أصولها إلى إبداعات المسلمين وانجازاتهم, وهذا الرقم فقط لما تم إحصائه وتتبعه وغيره كثير جدا " (http://www.suwaidan.com).

ولا ننسى قبل ذلك إبداعات أعلام المسلمين ومنهم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إذ أنشأ الدواوين (الوزارات), فهو أول من دونّها, فكان ديوان الجند, وديوان الخزانة, وديوان العطاء (التأمينات الاجتماعية), وبعد فتح العراق واجه مشكلة تقسيم الأرض. فقد طلب الفاتحون أن تُقسّم الأرض بينهم, لكنه عارضهم في هذا الرأي, حيث كان رأيه أن الأرض إذا وُزّعتْ على الفاتحين .. فمن أين ستأتي بعدئذ نفقات الدولة؟ واستشهد بقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحشر: الآية9), فقد استنبط من هذه الآية أن الأجيال القادمة من المسلمين لهم الحق في الأراضي المفتوحة, وهكذا استقر الرأي على بقاء الأرض بأيدي أصحابها عندما يدفعون الخراج عنها. وبذلك أصبح ترك المال بأيدي الناس ليعملوا أو يربحوا فتزداد أموالهم هو الرأي الصحيح في قضايا المال, وهو يدل على عمق فهم عمر (رضي الله عنه) لمصلحة الأمة في بناء المستقبل.

وهذا ما أدركته أوربا في العصور الحديثة وأثبته (آدم سمث) في كتابه (ثروة الأمم). إذ إن الثروة لا تقاس بما يملكه الحكّام أو الملوك, وإنما بما يملكه عامة الناس.

أما في علم المحاسبة فنذكر محمد بن موسى الخوارزمي (164هـ – 781م) إذ كان من أوائل الذين أسّسوا علم الترقيم المعتمد الآن في العالم, واختراع الأرقام العربية المستخدمة في أوربا وغيرها من الدول.

وفـــي مجـــال الاقتـــصاد فتظهـــر لنـــا إســـهامات ابـــن خلـــدون (808هـــ – 1406م) والمقريـــزي (845هـــ – 1442م) إذ سبقا آدم سمث بأربعة قرون فهذا (ابن خلدون) ناقش ظاهرة القيمة وتقسيم العمل والنمو الاقتصادي, أما المقريزي فقد بحث موضوع النقد ومسألة الدورات والأزمات الاقتصادية. ومؤلفاتهما المنتشرة في العالم أفضل دليل على نجاح تلك الإنجازات التي امتدت آثارها وأبعادها حتى وقتنا الحاضر.

الاستنتاجات والتوصيات:

بعد استعراض ما جاء في صفحات البحث يُمكن تلخيص أهم ما ورد فيه بالنقاط الآتية:

1. إن توظيف الإبداع في خدمة الأنشطة الاقتصادية كافّة يُعد من أهم القضايا التي دعا إليها الإسلام كونه يدعو للتطوّر والنهوض ومواكبة أهم القضايا المعاصرة التي يمرُّ بها الناس باستمرار ويحتاجونها فـــي قضاء حوائجهم.
2. الإبداع في المنظور الاقتصادي الإسلامي هو: " مجموعة من القواعد والأسس والقوانين الفكرية تتميز بالاستحداث أي لم يسبقه أحد في إيجادها تساهم في وضع حلول وقواعد لمـــشاكل اقتـــصادية تواجـــه المؤسسات والمنظّمات متّـــفقة مع تعاليم الشريعة الإسلامية " .
3. إن أهمية الإبداع في المجال الاقتصادي تكمن في أنه ساهم في إيجاد حلول وابتكار طـــرق ووســـائل جديدة ساهمت في إيجاد إنتاج سلعي وتنوع مبتكر في السوق.
4. إن الدين الإسلامي دين يدعو إلى الإبداع والابتكار بكافة أشكاله, بل نجد أنه ساهم في تنميته من خلال إيجاد عدة قواعد أهمها : التمكين, وتنمية القدرات, والاستثمار المعرفي، وأنه جعل الإبداع في المجال الاقتصادي عبادة يُثاب المبدع عليها.
5. إن من واجب الدول العربية والإسلامية التوجّه نحو الاقتصاد المعرفي كونه أجـــود إنتاجـــاً, وأســـرع عملاً, وأقل كلفةً، فالكثير من المؤسّسات الاقتصادية اليوم تُعاني من مشكلة البطالة المقنّعة حيث يوجد العديد من الموظفين بدؤوا يشكلون عائقاً حقيقياً لتقدم المؤسّسة, كونهم غير فاعلين وغير مبتكرين فـــي أعمالهم التي يمارسونها.

وبناءاً على ما تقدم من نتائج أجد من الضروري أن أقدم التوصيات الآتية:

1. من واجب المؤسّسات الاقتصادية لاسيما في العالم العربي والإسلامي تنمية جانب البحـــث والتطـــوير واقتصاديات المعرفة من خلال التنسيق مع الجامعات ذات التخصّص الاقتـــصادي لتطـــوير الإنتـــاج والسلوك للمؤسسة ككل كما تفعل ذلك أغلب الدول المتقدمة كفرنسا واليابان والصين وغيرها.
2. ضرورة تشجيع الأفكار الإبداعية من خلال عمل وحدة خاصة لكل مؤسسة من المؤسسات تُعنى وتهتم بهذا الجانب الحيوي المهم, والعناية بها لكي يحفز باقي الموظفين نحو التجديد والابتعاد عـــن بعـــض الأفكار التقليدية التي تُغيّب إمكانيات وقدرات العاملين في قطاع الإنتاج.
3. العمل على إبراز القواعد الإسلامية التي تحثُّ على الإبداع وتوضيح الأسس التي وجدت لهذا الجانـــب لكي يتضح للكثير حقيقة أن الإسلام لا يحارب الإبداع بل بالعكس يدعو له لاسيما في ميدان الاقتـــصاد الزراعي و الصناعي وذلك عن طريق توعية الجماهير وتثقيف الطلبة بأهمية دراسة جوانب الإبـــداع وتشجيع المبدعين منهم.

المصادر والمراجع:

1. الإبداع، فتحي جروان، دار وائل للطباعة والنشر ــ الأردن ، ط1 ، 1420هـ ــ 2000م.
2. الإبداع الإداري والتطوير التنظيمي، سر الختم محجوب، ط1، المنظمة العربية للعلـــوم الإداريـــة ــ عمان، 1406هـ ــ 1986م.
3. الإبداع في اتخاذ القرارت الإدارية, د. مؤيد الحسين الفضل, مكتبة الجامعـــــة – الشارقة وإثـــراء للنشر والتوزيع – الأردن، ط1 ، 2009 م.
4. الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية، غانم فنجان موسى، ط1، مطبعـــة الرايةـــ بغـــداد، 1415هـ ــ 1995م.
5. إدارة الإبداع – المفاهيم والخصائص والتجارب الحديثة, د . نجم عبـــود نجـــم، دار أوائـــل للنـــشر والتوزيع – عمان، الأردن، ط1 ، 2003 م.
6. إدارة الإبداع والابتكار، سليم بطرس جلدة، زيد منير عبوي، دار كنوزـــ الأردن، ط1 ، 1426هـــ ــ 2006م.
7. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الألباني، مكتبة الإسلامي ــ بيروت، ط، بلا ، 1405هـ ــ 1985م.
8. إستراتجية الإنتاج والعمليات، نبيل محمد المرسي، الدار الجامعية ــ مصر، 1422هـ ــ 2002م.
9. أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين, علي عبد الفتاح, دار ابن كثير, 2010م.
10. الجامع لـــشعب الإيمـــان، أحمـــد بـــن الحـــسين بـــن علـــي بـــن موســـى البهيقـــي أبـــو بكـــر (384هـ ــ 458هـ)، تحقيق مختـــار أحمـــد النـــدوي وآخـــرون، مكتبـــة الرشـــد ــ القـــاهرة، 1323هـ ــ 2003م.
11. دليل الإدارة الذكية لتنمية الموارد البشرية في المنظمات المعاصرة، عبد الحميد المغربي، ط، بـــلا، دار الفكر ــ عمان، 1427هـ ــ 2007م.
12. السلسة الضعيفة، محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف ــ بيروت، 1409هـ ــ 1989م.
13. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الألباني (ت1420هـ)، مكتبة المعـــارف ــ بيـــروت، ط، بـــلا ، 1415هـ ــ1995م.
14. السلوك التنظيمي (مفاهيم وأسس وسلوك الفرد والجماعة في التنظيم)، كامل المغربي، ط1، دار الفكر ــ عمان، 1413هـ ــ 1993م.
15. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي الملقب بأبي داوود (202هـ ــ 275هـ) ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ــ بيروت، ط، بلا ، د. ت.
16. سنن الترمذي، أبو عيسى محمـــد بـــن ســـورة بـــن موســـى بـــن الـــضحاك الـــسلمي الترمـــذي (209هـ ــ 279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخـــرون، دار إحيـــاء التـــراث ــ بيـــروت، ط، بلا ، د.ت.

17. علم الاقتصاد والمذاهب الاقتصادية مقارناً بالاقتصاد الإسلامي, د. مصطفى العبد الله الكفـــري و د. صالح حميد العلي, منشورات جامعة دمشق, سوريا.
18. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت 1094هـــ)، تحقيق: دكتور عدنان درويش، مؤسسة الرسالة ــ بيروت، 1410 هـــ ــ 1989م.
19. في ظلال القرآن, سيد قطب, دار الشروق, القاهرة, ط 8 , 1399هـــ , 1979م.
20. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري (603 هـــ ــ 711هـــ)، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط1، 1413هـــ ــ 1993م.
21. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, علي بن أبي بكر الهيثمي, دار الريان للتراث ودار الكتـــاب العربـــي, القاهرة وبيروت, 1407هـــ.
22. مساهمة الإبداع التكنولوجي في تدعيم المركز التنافسي للمنظمة، د. بن بريكة عبـــد الوهـــاب زيـــن التركي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسير، جامعة محمد حضير ــ بسكرة ، جامعـــة سعد ــ حلب 18ــ 19 مايو ، 1421هـــ ــ 2001م.
23. مفردات ألفاظ القرآن، الشيخ أبو القاسم الحسين بـــن محمـــد بـــن المفـــضل الراغـــب الأصـــفهاني (ت425هـــ)، تحقيق: صفوان ابن عدنان الداودي، دار النهضة العربية ــ القاهرة، ط1 ، 1409هـــ ــ 1989م.
24. مقالة بعنوان (الاقتصاد الإبداعي خيار العرب لتقليص الاعتماد على الخارج)، رضا عبد الـــودود – الكويت، بتاريخ 2011/3/24 ، موقع: علامات أون لاين www.alamatonline.net .
25. مقدمة في الإبداع، ناديا السرور، دار عمان ــ الأردن، ط1، 1422هـــ ــ 2002م.
26. مقدمة في منهج الإبداع، زهير منصور، دار السلاسل للطباعة والنشر ــ الكويت، ط1 ، 1415هـــ ــ 1985م.
27. موسوعة التدريس، مجدي عزيز إبراهيم، دار الميسرة ــ عمان، 1422هـــ ــ 2002م.
28. الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث (93هـــ ــ 179هـــ)، مؤســـسة الريان للطباعة والنشر ــ بيروت، 1427هـــ ــ 2007م.
29. نظريات منظمات الأعمال، أميمة الدهان، ط1، دار النشر ــ عمان، 1417هـــ ــ 1997م.
30. التسويق الإبتكاري، د. نعيم حافظ أبو جمعة، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية – بحـــوث ودراسات ، 2003 ، داينامك للطباعة.

الدوريات:

1. أثر الحوافز على فاعلية الإدارة والإنتاج، محمد هيكـــل ، مجلـــة الإدارة ــ القـــاهرة، العـــدد 2 ، 1419هـــ ــ 1999م.
2. أسس مجتمع المعلومات وركائز الإستراتيجية العربية في ظل عالم متغير، فتحي عبد الهادي، أعمال المؤتمر التاسع للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات حول الإستراتيجية العربية الموحدة للمعلومـــات في عصر الانترنيت، المنظمة العربية للتربية والثقافة، 1418هـــ ــ 1998م.

3. دور وأهمية الإبداع المحاسبي في تحقيق الميزة التنافسية الاقتصادية في مؤسسات المال الأردنيـــة، د. علي فلاح الزغبي وماجد عبد العزيز الجر يري، بحث علمي مقدم إلى المؤتمر العلمي الخامس لكلية العلوم الإدارية والمالية ــ جامعة ميلاد لينا، 1427هـــ ــ 2007م.

4. العوامل المؤثرة على دور المدير كوكيل إبداع (دراسة ميدانية في دولـــة الكويـــت)، د. فـــضل الله الفضلي، مجلة جامعة الملك سعود الإدارية، 1423هـــ ــ 2003م.

5. العوامل المؤثرة في تنمية الإبداع في المنشأة الصناعية، مسلم علاوي السعد و مزهر عبـــد الـــسادة العلياوي، جامعة بغداد ــ المؤتمر القطري الأول ــ تشرين الأول 1421هـــ ــ 2001م.

6. مقومات الإبداع الإداري في المنظمات المعاصرة، عبد المعطي عساف، مجلـــة الإداري ــ مـــسقط، العدد 1 ، 1415هـــ ــ 1995م.

7. مهارات التفكير الإبداعي وعلاقته باتخاذ القرار، نبيل عبـــد الحـــافظ ، مجلـــة الإداري ــ مـــسقط، 1415هـــ ــ 1995م.

المواقع الالكترونية:

1. www.itp.net .
2. انظر الموقع middle ast.com :www.forbes .
3. وصحيفة البيان الالكترونية www.al bayan.ae .
4. المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا 14 سبتمبر 2010، www.tanm.ma
5. موقع مجلة عكاظ الالكترونية العدد 3462، 9 ديسمبر 2010م ، www.okaz.com
6. موقع الدكتور طارق السويدان: www.suwaidan.com
7. موقع المكتبة العراقية الافتراضية http://www.ivsl.org/?language=ar

المصادر الأجنبية:

1. Douglass North , D.C , Struc true and change in Economic History , New York – Norton , 1998 .
2. Guellec Dominique , " Economic de Innovation Paris : La decouverte , 1999.
3. Randall Morck et yeung Bernard " Lesde terminates Economiquesde , Theory and Practice (Canada Journal of Community Mental Health Spring , 1993 .
4. Vatenduce Gerard Warrant Francoise " Innovation technoligue audeveloppment durable " Namur Fondation travail-Universite , Fevrier 2001 .